ردمد
٢٥١٨-٩٢٧١
ردمد الالكتروني
٢٥١٨-٩٣٦٠

ديوان الوقف الشيعي
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات الافريقية

مجلة دراسات افريقية

مجلة فصلية محكمة
تعنى بشؤون القارة الافريقية
تصدر عن مركز الدراسات الافريقية

العدد
الرابع والعشرون
المجلد الثالث
ربيع الأول ١٤٤٨ هـ
أيلول - ٢٠٢٦ م

مجلة دراسات إفريقية

Journal Homepage: http://studies.africansc.iq/
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

أعضاء هيئة التحرير

ت	الاسم	التخصص	الجامعة	الدولة
١	أ.م أمجد زين العابدين طعمة	علاقات دولية	الجامعة المستنصرية	العراق
٢	أ.د. ذاكر محي الدين عبد الله	تأريخ إفريقيا	جامعة الموصل	العراق
٣	أ.د. نوار جليل هاشم	علاقات دولية	الجامعة المستنصرية	العراق
٤	أ.د. محمد محمار جي	تاريخ إفريقيا	الجامعة الإسلامية بمنيسوتا	الولايات المتحدة
٥	أ.د. عبد الله الفيكي البشير	تاريخ إفريقيا	جامعة الخرطوم	السودان
٦	أ.د. أحمد عبد الدايم محمد	تاريخ إفريقيا	جامعة القاهرة	مصر
٧	د. ياسر محمد العبيد	الاقتصاد الإفريقي	جامعة إفريقيا العلمية	السودان
٨	د. أبو بكر فضل محمد	باحث في الدراسات الإفريقية	مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر	السودان
٩	أ.م.د. إبراهيم برمة أحمد	الحضارة الإسلامية	جامعة الملك فيصل	تشاد
١٠	أ.م.د. سايو بابا دينى	دراسات إفريقية	جامعة الهدى	بوركينا فاسو
١١	أ.م.د. سعيد ناسرى برونغوا	الحضارة الإسلامية	جامعة الزيتونة	تونس
١٢	أ.م.د. نافع جميل خلف الهلال	العقيدة والفكر الإسلامي	جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية	العراق
١٣	د.عبدالوهاب الطيب بشير	علوم سياسية	مركز البحوث والدراسات الإفريقية – جامعة إفريقيا	السودان
١٤	أ.م. عماد الدين حسين بحر الدين	الدراسات الاستراتيجية	الزعيم الأزهري/ معهد البحوث والدراسات السودانية والدولية	السودان

المجلد الثالث
العدد الرابع والعشرون

مجلة دراسات إفريقية

شهر ربيع الأول ١٤٤٨هـ
أيلول ٢٠٢٦م

volume 3
Issue 24

Journal of African Studies

Rabi al-Awwal 1448
September . 2026

المحتويات

التطورات السياسية والاقتصادية في جيبوتي ١٩٩٩-٢٠١٦	خلف عبيد حمود	٢٥
الجرائم العابرة للحدود وأثرها على الأمن القومي السوداني ـ دراسة حالة الحدود السودانية الليبية	الطيب حسين عمر إشيقر	٦٩
السياسة الخارجية الأمريكية تجاه جنوب إفريقيا: دراسة في التفاعل بين البعد الداخلي والخارجي في صنع القرار الأمريكي	رضوان حسن علي	١٠٣
العادات الإفريقية وموروثها الروحي والديني قبل الإسلام وبعده دراسة تحليلية في التحول الثقافي والديني	ثاني عبد الله أحمد	١٣٣
علاقات دولتي السودان وجنوب السودان دراسة في عناصر النزاع ومسارات التكامل	السر خليل عبد الله عبد الرافع	١٥٧

المجلد الثالث
العدد الرابع والعشرون

مجلة دراسات إفريقية

شهر ربيع الأول ١٤٤٨هـ
أيلول ٢٠٢٦م

volume 3
Issue 24

Journal of African Studies

Rabi al-Awwal 1448
September . 2026

تغيير المناخ كعامل محفز للصراعات الجيوسياسية: دراسة حالة دول الساحل الإفريقي	شيماء حسن علي	١٩٥
جغرافية بوروندي وطبيعة نظامها الاجتماعي والسياسي حتى عام ١٩١٦	أسعد باسم محمد العارضي	٢٣٥
رتبة المصدر السوداني في سلّم مصادر تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء: المزايا والمآخذ	إبراجوف	٢٨٩
شخصية العدد: بول كاغامي (Paul Kagame)	علي جليل جاسم	٣١٧
عرض كتاب: موجز تاريخ نيجيريا المعاصر (١٩٦٠ – ٢٠٢٣)	بسام رضا محمد	٣٢٥

العادات الإفريقية وموروثها الروحي والديني
قبل الإسلام وبعده
دراسة تحليلية في التحول الثقافي والديني

مجلة دراسات إفريقية

Journal Homepage: http://studies.africansc.iq/
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

العادات الإفريقية وموروثها الروحي والديني قبل الإسلام وبعده
دراسة تحليلية في التحول الثقافي والديني

ثاني عبد الله أحمد

كلية التربية – ولاية جيغاوا – نيجيريا

Muhammadsabdullahi044@gmail.com

تاريخ الاستلام:

٢٥/ ٧/ ٢٠٢٦

تاريخ القبول:

٣٠/ ٧/ ٢٠٢٦

تاريخ النشر:

١/ ٩/ ٢٠٢٦

الكلمات المفتاحية:

التراث الإفريقي، العادات والتقاليد، المعتقدات التقليدية، الهوية الثقافية، الإسلام في إفريقيا، الاستعمار الأوروبي، العولمة، التعليم.

المجلد الثالث العدد (٢٤)

شهر ربيع الأول – ١٤٤٨هـ

أيلول ٢٠٢٦م

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة العادات والتقاليد الإفريقية من منظور تاريخي وثقافي، مع التركيز على الجذور الروحية والاجتماعية للمجتمعات الإفريقية قبل دخول الإسلام والمسيحية، وتحليل التحولات التي أحدثها انتشار الإسلام، وصولاً إلى تأثير العولمة والتعليم في العصر الحديث. يعتمد البحث على دراسة المعتقدات التقليدية القائمة على الأرواحية وتقديس الأسلاف والارتباط بالطبيعة، والتي ساهمت في تكوين أنظمة القيم والسلوك الاجتماعي، إضافة إلى الطقوس الرمزية مثل طقوس العبور والزواج والاحتفالات الشعبية. كما يبرز البحث أهمية الرواية الشفوية التي نقلها الحكاؤون (Griots) في حفظ الذاكرة الجمعية والثقافة، ويحلل التحولات التي أحدثها انتشار الإسلام منذ القرن السابع الميلادي، إذ أدخل مفاهيم التوحيد والنبوة والعبادة المنظمة ضمن إطار ديني جديد، مع استمرار بعض الموروثات التقليدية في تشكيل الهوية الدينية والثقافية. ويرصد البحث كذلك أثر الاستعمار الأوروبي في محاولة فرض النموذج الغربي وتقويض التراث المحلي، مع إبراز المقاومة الثقافية للشعوب الإفريقية. وفي العصر المعاصر، يستعرض البحث تأثير العولمة والتعليم والتكنولوجيا في إعادة صياغة الممارسات الثقافية مع الحفاظ على جوهر الهوية الإفريقية. ويخلص البحث إلى أن التراث الإفريقي يمثل منظومة حيّة قابلة للتجدد والتكيف دون فقدان جذورها، مما يجعله عنصراً أساسياً لفهم الهوية والثقافة الإفريقية المعاصرة.

African Customs and Their Spiritual and Religious Heritage Before and After Islam

Sani Abdullahi Ahmad
Jigawa State College of Education, Gumel, Nigeria
Muhammadsabdullahi044@gmail.com

Received:
25/7/2026
Accepted:
30/7/2026
Published:
1/9/2026

Keywords:
African heritage, customs and traditions, traditional beliefs, cultural identity, Islam in Africa, European colonialism, globalization, education.

Journal of African Studies
volume (3)
Issue (24)
Rabi al-Awwal 1448

Absrract

This study examines African customs and traditions from a historical and cultural perspective, focusing on the spiritual and social roots of African societies before the introduction of Islam and Christianity, and tracing the transformations brought by the spread of Islam, as well as the contemporary influences of globalization and education on African cultural identity. The research analyzes traditional beliefs based on spirituality, ancestor veneration, and connection with nature, which shaped value systems and social behavior, alongside symbolic rituals such as initiation rites, marriage ceremonies, and popular celebrations, and highlights the central role of music and dance as means of spiritual and cultural expression. The study also emphasizes the importance of oral traditions preserved by griots in maintaining collective memory and cultural knowledge. It examines the profound changes resulting from the spread of Islam since the seventh century CE, introducing monotheism, prophet hood, and organized worship while allowing continuity of some traditional practices, forming the "African religious ethos blended with Islam." The research further explores the impact of European colonialism in imposing Western cultural models and undermining local heritage, while highlighting African cultural resilience. In the modern era, it assesses how globalization, education, and technology have reshaped cultural practices without eroding the core of African identity. The study concludes that African heritage remains a dynamic system capable of renewal and adaptation without losing its roots, making it essential for understanding contemporary African culture and identity.

المقدمة

تُعَدّ القارة الإفريقية من أغنى مناطق العالم بالتنوّع الثقافي والديني، لما تمتاز به من تعدّد الأعراق واللغات والمعتقدات والطقوس الروحية التي أسهمت في صياغة الهوية الجمعية لشعوبها عبر القرون. وقبل دخول الإسلام والمسيحية إليها، عرفت المجتمعات الإفريقية منظومات دينية وروحية متكاملة تقوم على الإيمان بالقوة العليا، وتقديس الأرواح والأسلاف، والارتباط الوثيق بالطبيعة. وقد شكّلت هذه المعتقدات الإطار الأول الذي فسّر به الإنسان الإفريقي علاقته بالوجود وبالعالم الغيبي. ومع انتشار الإسلام في القارة الإفريقية منذ القرن السابع الميلادي، شهدت البنية الروحية والدينية تحوّلاً عميقاً؛ إذ أدخل الإسلام مفاهيم التوحيد والنبوة والعبادة المنظمة ضمن نسق فكري وديني جديد. ورغم ذلك، لم تُلغِ هذه التحولات الموروثات السابقة بصورة كاملة، بل تفاعلت معها وامتزجت بها في كثير من المناطق، مما أسهم في تكوين ما يُعرف اليوم بـ"الروح الدينية الإفريقية المتماهية مع الإسلام". وتنبع أهمية هذا البحث من ضرورة دراسة تلك التحولات الدينية والروحية في ضوء التفاعل بين الدين والعادة، وبين الأصالة والتجديد، لما يمثله الموروث الديني من مفتاحاً أساسياً لفهم الثقافة الإفريقية المعاصرة وبُناها الاجتماعية والرمزية.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الآتي:

كيف أثّر دخول الإسلام في البنية الروحية والدينية للشعوب الإفريقية، وما مدى استمرار الموروث الديني القديم في ظل الإسلام؟

أهداف البحث

١. التعرف على أبرز ملامح المعتقدات الروحية الإفريقية قبل الإسلام.

٢. تحليل أثر الإسلام في تهذيب الموروث الديني الإفريقي.

٣. إبراز جوانب التفاعل والتكامل بين العادة والدين في المجتمعات الإفريقية.

منهجية البحث

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال جمع المعطيات التاريخية والثقافية حول المعتقدات الإفريقية، ثم تحليلها في ضوء التحولات التي أحدثها الإسلام في الفكر والسلوك الديني.

حدود البحث

ينحصر البحث في دراسة النماذج الدينية والاجتماعية لعددٍ من مناطق إفريقيا جنوب الصحراء، ولا سيّما في غربها وشرقها، حيث كان التأثير الإسلامي بارزاً ومتدرجاً.

الفصل الأول: الموروث الروحي والديني في إفريقيا قبل الإسلام

مفهوم الدين عند الإنسان الإفريقي القديم

يُعدّ الدين في الفكر الإفريقي القديم عنصراً أساسيّاً في بنية الحياة، إذ لم يكن مجرد منظومة عقائدية، بل أسلوباً شاملاً ينظّم علاقة الإنسان بذاته ومجتمعه والطبيعة من حوله. فكل ما في الكون عند الإفريقي القديم يحمل روحاً وقوة غيبية، مما يجعل التدين سلوكاً يوميّاً يتجلى في كل تفاصيل الحياة، لا طقساً منفصلاً عنها كما في بعض الثقافات الغربية الحديثة[١]. لقد كان الدين في المجتمعات الإفريقية القديمة نابعاً من الفطرة الإنسانية التي تبحث عن معنى الوجود، وتسعى للتواصل مع قوة عُليا يُعتقد أنها مصدر الحياة والرزق والمطر والخصب. لذلك كان الاعتقاد الديني ملازماً للإنسان الإفريقي منذ أقدم العصور، سواء في شكل عبادةٍ مباشرة للإله الأعظم، أو بتقديس أرواح الأسلاف والرموز الطبيعية.[٢]

١. **الإيمان بالقوة العليا (الإله الأعظم)**: على الرغم من تعدد الآلهة والطقوس في الثقافات الإفريقية القديمة، إلا أن كثيراً من الباحثين يقرّون بأن الفكر الإفريقي عرف مفهوم الإله الأعظم (God Supreme) منذ القدم، وإن اختلفت أسماؤه من منطقةٍ لأخرى. [٣]ففي غرب إفريقيا مثلًا، يُعرف عند اليوروبا باسم أولودوماري (Olodumare)، وعند الإيبو باسم تشوكو (Chukwu)، بينما يُعرف في بعض مناطق شرق إفريقيا باسم إنكاي (Ngai)، وكلها تدل على وجود قوة عليا واحدة فوق جميع الكائنات. هذا الإيمان العميق بوحدة الخالق، وإن اتخذ أشكالاً متعددة في

---

(١) جون مبتي، الديانة الإفريقية التقليدية والفلسفة، ترجمة عبد الله خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩، ص. ١٢.

(٢) عبد العزيز الدوري، ملامح الفكر الديني في إفريقيا القديمة، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد ٤، ٢٠٠٥، ص. ٤٥.

(3). John S. Mbiti, African Religions and Philosophy, Heinemann, London, 1969, p. 29.

التعبير، يشير إلى نزعة توحيدية كامنة في الوجدان الإفريقي، وقد سهّل ذلك تقبّل فكرة التوحيد الإسلامي لاحقاً، حين وصل الإسلام إلى القارة.[١]

٢. **عبادة الأرواح والأسلاف**: من أبرز مظاهر المعتقد الإفريقي قبل الإسلام تقديس أرواح الأسلاف، إذ يُعتقد أن أرواح الآباء والأجداد تظل حاضرة في حياة الأبناء، تراقبهم وتباركهم أو تعاقبهم حسب سلوكهم. وكان هذا الإيمان يشكّل أساساً للنظام الأخلاقي والاجتماعي، فاحترام الكبار وطاعة الوالدين لم يكن واجباً اجتماعيّاً فحسب، بل التزاماً دينيّاً يضمن رضى الأرواح[٢]. وتُقام الطقوس والاحتفالات الخاصة لتكريم الأسلاف، حيث تُقدَّم القرابين من الطعام أو الشراب أو الحيوانات، طلباً للحماية أو الشفاء أو المطر. وفي بعض المناطق، تُخصَّص أماكن مقدسة داخل البيوت تُعرف بـ"بيوت الأرواح"، يُقدَّم فيها الدعاء والابتهال للأسلاف.[٣]

٣. **الرموز الدينية والطقوس التعبدية**: تميزت الديانات الإفريقية القديمة بغناها الرمزي، إذ لم تكن العبادة مجرد كلمات أو صلوات، بل أفعال رمزية تعبّر عن علاقة الإنسان بالقوة الخفية. ومن هذه الرموز:

- الطبل: وسيلة للتواصل مع العالم الروحي، إذ يُعتقد أن صوته يستدعي الأرواح.
- النار: رمز للنقاء والاتصال بين الأرض والسماء.
- الأقنعة: تُستخدم في الاحتفالات الدينية لتمثيل الأرواح أو الآلهة.

٤. **أثر البيئة والطبيعة في تشكيل العقيدة**: لعبت البيئة الإفريقية دوراً مهمّاً في

---

(١) سامي شرف، إفريقيا بين التوحيد والوثنية، القاهرة: مركز الدراسات الإفريقية، ٢٠٠٣، ص٧٨.

(2) Basil Davidson, the African Past, Longman, London, 1964, p. 113.

(٣) عبد الرحمن الهاشمي، الموروث الديني والروحي في إفريقيا جنوب الصحراء، مجلة التراث والهوية، مج ٧، ج ٢، ٢٠١٠، ص. ٦١.

تكوين المعتقدات الروحية. فالصحراء والغابات والأنهار والجبال شكّلت مصدر الإلهام والمهابة في آنٍ واحد. فالإفريقي يرى في المطر رحمةً إلهية، وفي الجفاف غضباً سماويّاً، وفي الأشجار والأنهار أرواحاً حية يجب احترامها. هذا الارتباط الوثيق بالطبيعة جعل الديانة الإفريقية قائمة على مبدأ الانسجام بين الإنسان والكون، وهو ما يفسّر احترامهم العميق للبيئة وعدم إسرافهم في استغلال مواردها.[١]

(١) علي الحاج، الطبيعة والدين في الفكر الإفريقي التقليدي، جامعة الخرطوم، قسم الدراسات الإفريقية، ٢٠١٢، ص٢٢.

الفصل الثاني: التحول الديني بعد دخول الإسلام إلى إفريقيا

بدايات دخول الإسلام إلى القارة الإفريقية

يُعَدّ دخول الإسلام إلى إفريقيا من أقدم عمليات الانتشار الديني السلمي في التاريخ، إذ بدأت طلائع المسلمين تصل إلى القارة منذ القرن السابع الميلادي عبر الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم عبر مصر وشمال إفريقيا في عهد الفتح الإسلامي. ومع مرور القرون، انتشر الإسلام في غرب إفريقيا وشرقها ووسطها بوسائل الدعوة والتجارة والدعوات الدينية أكثر مما انتشر بالسيف أو القوة[١].

فقد كان التجار والعلماء والدعاة المسلمون من أهم وسائط نقل الإسلام إلى المجتمعات الإفريقية، خصوصاً في مناطق الساحل وغرب السودان، حيث انتشر الإسلام عبر الممالك الكبرى مثل: غانا، ومالي، وصونغاي، وكانم برنو، ثم إلى الشرق عبر الحبشة والساحل السواحيلي[٢].

أثر الدعوة الإسلامية في تهذيب الموروث الروحي

جاء الإسلام إلى إفريقيا برسالة التوحيد والعدل والمساواة، فوجد أرضاً خصبة من الإيمان الفطري الذي كان حاضراً في الموروث الإفريقي القديم. إلا أن الإسلام أضفى على هذا الإيمان تنظيماً شرعيّاً وتشريعيّاً، ووجّه العلاقة بين الإنسان وربه ضمن منظومة محددة من العقائد والعبادات[٣]. فقد أسهم الإسلام في تهذيب بعض الممارسات الدينية التي كانت تقوم على الخرافة والسحر والقرابين الحيوانية، واستبدل بها قيم التوكل والدعاء والعبادة لله وحده. كما حدَّ من بعض الطقوس التي تتنافى مع مبدأ التوحيد، مثل عبادة الأسلاف أو الأرواح، لكنه لم يلغِ تماماً الشعور الروحي

(١) حسن بن علي، تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا، القاهرة: دار المعرفة، ١٩٨٧، ص. ١٥.

(٢) عبد الله التليدي، طرق الدعوة الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء، مجلة الفكر الإسلامي، العدد ٢٣، ٢٠٠٩، ص٤١.

(٣) جون مبتي، الديانة الإفريقية التقليدية والفلسفة، مصدر سابق، ص. ٨٩.

المرتبط بالتقديس والرمزية، بل أعاد توجيهه نحو الله سبحانه وتعالى[١].

التداخل بين العادات الإفريقية والمفاهيم الإسلامية

من أبرز سمات التحول الديني في إفريقيا أن الإسلام لم يأتِ ليقضي على الموروثات المحلية بشكل جذري، بل تفاعل معها وتماهى في بعض مظاهرها. فقد احتفظت الشعوب الإفريقية بعد إسلامها بعدد من الرموز والاحتفالات، لكنها ألبستها لبوساً إسلاميّاً جديداً[٢]. فعلى سبيل المثال، بعض الاحتفالات الموسمية أو الزراعية القديمة تحولت إلى مواسم دينية أو صوفية تُقام فيها الأذكار وتُتلى القصائد في مدح النبي ﷺ. وكذلك بقيت عادة زيارة القبور والأضرحة جزءاً من الحياة الدينية والاجتماعية، لكنها اتخذت شكلاً جديداً في إطار التبرك بالأولياء والصالحين، لا عبادةً لهم. كما أُدمجت بعض العادات الاجتماعية مثل الختان، والضيافة، والكرم، والصدق ضمن القيم الإسلامية، إذ توافق الإسلام مع طبيعة هذه القيم التي كانت راسخة في المجتمع الإفريقي[٣].

نماذج من المجتمعات الإفريقية التي تأثرت بالإسلام

أ. **غرب إفريقيا:** تُعد منطقة غرب إفريقيا من أكثر المناطق التي ازدهر فيها الإسلام، إذ تحولت ممالك مثل مالي وصونغاي وتمبكتو إلى مراكز علمية ودينية بارزة. وأبرز مثال هو الحاج عمر الفوتي في القرن التاسع عشر، الذي نشر الإسلام في مناطق واسعة من غرب القارة[٤].

---

(١) محمد بشير، الإسلام والتحول الثقافي في إفريقيا، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠١١، ص٥٣.

(2) Basil Davidson, the African Genius, Longman, London, 1969, p. 142.

(٣) عبد القادر محمود، الإسلام والتقاليد الاجتماعية في إفريقيا الغربية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ٢٠٠٦، ص. ٣٧.

(٤) محمد الفوتي، الرؤية الصوفية في الدعوة الإسلامية بإفريقيا، مجلة التصوف والدراسات الإفريقية، مج ٢، ع ١، ٢٠١٤، ص. ٢٢.

ب. **شرق إفريقيا**: أما في الشرق، فقد دخل الإسلام مبكراً عبر الساحل السواحيلي بفضل التجار العرب والفرس، وامتزجت اللغة العربية بالثقافة المحلية لتنشأ اللغة السواحيلية. كما ساهمت بعض الحركات الدينية في تثبيت الإسلام في مناطق كـ زنجبار ودار السلام وكيب تاون[١].

ج. **السودان وبلاد النوبة**: في شمال شرق إفريقيا، تسرب الإسلام عبر مصر إلى بلاد النوبة، ثم إلى السودان، حتى أصبح الدين الغالب. وقد امتزجت العقيدة الإسلامية بالموروث الإفريقي المحلي في ممارسات عديدة، خصوصاً في الأعياد والمناسبات الاجتماعية، حيث يظهر التداخل بين العادة والدين[٢].

التعايش بين الموروث الديني الإفريقي والإسلام

لقد أوجد هذا التفاعل التاريخي بين الإسلام والموروث المحلي نموذجاً فريداً من التدين الإفريقي الإسلامي، حيث يعيش الناس الإسلام في إطار ثقافتهم المحلية، دون أن يشعروا بتناقضٍ بين إيمانهم وهويتهم. ففي المجتمعات الإفريقية المسلمة، ما زالت الرموز التقليدية تُستخدم في المناسبات الدينية كالموالد والمهرجانات الروحية، دلالةً على استمرار العلاقة بين القديم والجديد في وجدان الإفريقي[٣]. وهكذا، استطاع الإسلام أن يُحدث ثورة روحية عميقة دون أن يهدم البنية الثقافية والاجتماعية، فكان ديناً مدمجاً بالتراث الإفريقي، لا غريباً عنه.

---

(١) أحمد الحجازي، التفاعل الثقافي بين العرب والسواحيليين، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٨، ص٦١.

(٢) يوسف خليل، انتشار الإسلام في السودان والنوبة، دار النيل، الخرطوم، ١٩٩٧، ص٨٨.

(3) John Hunwick, Religion and Cultural Change in West Africa, Cambridge University Press, 1985, p. 111.

الفصل الثالث: البنية الفكرية للمعتقدات الإفريقية القديمة

تتسم الديانات الإفريقية قبل الإسلام بطابعها الفلسفي العميق رغم بساطتها الشكلية، إذ كانت تقوم على الإيمان بوجود قوة عظمى خالقة للكون، يُنظر إليها بوصفها "الإله الأعلى" أو "الخالق الأعظم"، غير أن التواصل المباشر معه كان محدوداً في الفكر الشعبي، مما أدى إلى ظهور وسائط روحية كالأسلاف والأرواح والكهنة. وقد وُجد هذا التصور في ثقافات عديدة، مثل ديانة "اليوروبا" في نيجيريا و"البانتو" في وسط إفريقيا و"الزولو" في الجنوب، حيث كان الناس يؤمنون بوجود نظام كوني تسيره القوى الغيبية، وأن التوازن بين الإنسان والطبيعة لا يتحقق إلا من خلال الطقوس والقرابين.(١)

ومن البنية الفكرية للمعتقدات الإفريقية القديمة:-

١. **عبادة الأسلاف والروحانية الاجتماعية:** تُعد عبادة الأسلاف من أبرز مظاهر المعتقدات الإفريقية، حيث يُنظر إلى الأسلاف على أنهم وسطاء بين العالم المرئي والعالم غير المرئي، ولهم القدرة على حماية الأحياء أو معاقبتهم. وكان التواصل معهم يتم عبر الطقوس الموسمية، وتقديم القرابين في البيوت أو المقابر، مصحوبة بالأناشيد الدينية.(٢) وهذه الممارسة لم تكن خرافة فحسب، بل كانت تمثّل في جوهرها نظاماً أخلاقياً واجتماعياً يربط الأجيال ببعضها، ويُغرس من خلالها مفهوم المسؤولية الجماعية والانتماء للأسرة والقبيلة.

٢. **الرموز المقدسة والطقوس الاحتفالية:** تنوّعت الرموز الدينية في إفريقيا بين الأحجار المقدسة، والأشجار الكبيرة، والأنهار، والجبال، التي اعتُبرت مساكن للأرواح. وكانت الطقوس تتم غالباً في الطبيعة، وتُصاحبها موسيقى الطبول التي كان

---

(١) جون مبيتي، الفكر الديني الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن صادق، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥، ص٢٢.

(٢) هارولد ترنر، الديانات الإفريقية الحية، أكسفورد: مطبعة الجامعة، ١٩٩٠، ص ٤١.

يُعتقد بحملها لدلالات روحية.[١] لقد كانت الموسيقى في الديانة الإفريقية القديمة وسيلة للتواصل مع القوى الغيبية، وليست مجرد تعبير فني، إذ اعتقد الإفريقي أن الإيقاع يفتح "الباب بين العالمين" في لحظة الاتحاد الروحي.

٣. الكهنة والسحرة ودورهم الديني: لعب الكهنة (أو الزعماء الروحيون) دوراً محورياً في إدارة الطقوس وتفسير الظواهر الطبيعية، وكانوا يُعتبرون حراس المعرفة الدينية، ووسطاء بين الناس والآلهة. أما السحرة فكانوا يمثلون الجانب المظلم من القوة الروحية، إذ استُخدم السحر لأغراض الحماية أو الأذى، تبعاً لقصد مستخدمه.[٢] ومع مرور الزمن، تطورت هذه المؤسسات الروحية لتصبح أساساً للقيادة الاجتماعية، حيث جمع الكاهن بين الدين والسياسة والعلاج الشعبي في آنٍ واحد.

٤. القيم الأخلاقية في الديانة الإفريقية القديمة: على الرغم من طابعها الوثني في الظاهر، إلا أن الديانات الإفريقية كانت تحمل منظومة أخلاقية قائمة على مفاهيم مثل العدالة، والصدق، واحترام الكبار، والتعاون، وهي قيم بقيت متجذرة حتى بعد دخول الإسلام، مما ساعد على تفاعل الدين الجديد مع البيئة الإفريقية دون مقاومة كبيرة.[٣]

---

(١) طه حسين، حديث الأربعاء، الجزء الثاني، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٤، ص ٨٨.

(٢) بول رايت، الروحانية الإفريقية بين السحر والدين، نيروبي: دار نلسون، ١٩٩٧، ص ٥٣.

(٣) محمد ناصر، الأديان في إفريقيا قبل الإسلام، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد ١٤، ٢٠١٠، ص ١١٩.

الفصل الرابع: محاولات الاستعمار الأوروبي في محو الهوية الإفريقية

شهدت القارة الإفريقية خلال الفترة الاستعمارية (من القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين) تحوّلات عميقة مست البنى الثقافية والاجتماعية واللغوية للمجتمعات الإفريقية. فقد سعى الاستعمار الأوروبي إلى إعادة تشكيل هوية الشعوب من خلال فرض منظومته الفكرية والقيمية، وإضعاف الروابط التي تشكّل أساس الهوية الثقافية المحلية. ويُجمع الباحثون على أن هذه المرحلة تركت أثراً بالغاً في الوعي الجمعي الإفريقي، وفي طبيعة العلاقة بين التراث المحلي والنموذج الثقافي الوافي.(١)

اعتمد الاستعمار في مشروعه على أدوات مختلفة، أهمها التعليم الاستعماري الذي صُمّم ليقدّم المعرفة الأوروبية بوصفها النموذج المتفوق، ويهمّش المعارف التقليدية، ويقوّض اللغات المحلية لصالح اللغات الأوروبية كالإنجليزية والفرنسية والبرتغالية.(٢) كما تم استخدام الإرساليات الدينية لنشر تصورات جديدة عن الأخلاق والروحانية، غالباً بتمثيل الموروث المحلي باعتباره "بدائيّاً" أو "ضد الحضارة.(٣)

وترافقت هذه السياسات مع إعادة تشكّل البنى الاجتماعية والاقتصادية؛ إذ قام الاستعمار بإعادة رسم الحدود السياسية، وتقويض سلطة المؤسسات التقليدية كالملوك والشيوخ وزعماء القبائل، مما أدى إلى إضعاف أنظمة الحكم المحلي التي حافظت لقرون على تماسك المجتمعات.(٤) كما تم استغلال الموارد الطبيعية والبشرية بطرق أخلّت بتوازن المجتمعات، وأحدثت انقطاعات ثقافية أثّرت في أنماط العيش والعلاقات الاجتماعية.

---

(١) هاستينغز، أ. (١٩٩٤). الكنيسة في إفريقيا: ١٤٥٠–١٩٥٠. مطبعة جامعة أكسفورد.

(٢) مزروعي، علي. أ. (١٩٨٦). الأفارقة: التراث المثلث. منشورات البي بي سي.

(٣) نغوغي واثيونغو. (١٩٨٦). تفكيك العقل: سياسة اللغة في الأدب الإفريقي. جيمس كوري.

(٤) رودني، وولتر. (١٩٧٢). كيف أفقرت أوروبا إفريقيا. منشورات بوغل-لوفرتيور.

وعلى الرغم من هذه المحاولات، أظهرت الشعوب الإفريقية مقاومة ثقافية قوية تمثلت في الحفاظ على اللغات، وإحياء المعتقدات والطقوس، وتوارث التقاليد عبر الأجيال، مما ساعد على إعادة بناء الهوية بعد الاستقلال.[١] وتؤكد هذه التجربة أن الهوية الإفريقية ليست كياناً هشّاً، بل منظومة قادرة على الصمود والتحوّل والاستمرارية.

(١) يونغ، كروفورد. (١٩٩٤). الدولة الاستعمارية الإفريقية في منظور مقارن. مطبعة جامعة ييل.

الفصل الخامس: تأثير العولمة والتعليم في إعادة صياغة الممارسات الثقافية الإفريقية

أدخلت العولمة معطيات جديدة في الحياة الإفريقية، فتأثرت العديد من الممارسات الثقافية بفعل التواصل العالمي، ووسائل الإعلام الحديثة، وانتشار المؤسسات التعليمية. وتؤكد الدراسات أن العولمة، رغم تحدياتها، لم تكن عاملاً سلبيّاً بالكامل، بل ساهمت في إحياء بعض عناصر الهوية وإعادة تقديمها في سياقات جديدة[١].

١. العولمة وتحوّل الهوية الثقافية: شكّلت العولمة قوة ضغط على الثقافات المحلية؛ إذ أدت إلى انتشار أنماط جديدة من العادات وأنماط الاستهلاك، وتراجع بعض الطقوس التقليدية. ومع ذلك، لم تُلغِ العولمة الهوية الإفريقية، بل أسهمت في خلق هوية هجينة تجمع بين المحلي والعالمي.[٢]

٢. التعليم وإعادة تقييم الموروث الثقافي: ساهم التعليم النظامي في إفريقيا في تعزيز التفكير النقدي، وانفتاح الأجيال الجديدة على العالم. وقد أدّى هذا إلى إعادة تقييم بعض الممارسات التقليدية، خصوصاً تلك التي تتعارض مع قيم حقوق الإنسان أو الصحة العامة، بعض طقوس البلوغ.[٣] في الوقت نفسه، أعاد التعليم إنتاج احترام التراث المحلي عبر برامجه الثقافية، والبحوث الأنثروبولوجية، ودعم اللغات المحلية في بعض الدول.

٣. التكنولوجيا وحفظ التراث: أصبحت التكنولوجيا الرقمية وسيلة فعّالة

---

(١) أبادوراي، أرجون (١٩٩٦) الحداثة في نطاق واسع: الأبعاد الثقافية للعولمة. مطبعة جامعة مينيسوتا.

(٢) هانرز، أوله. (١٩٩٢). التعقيد الثقافي: دراسات في التنظيم الاجتماعي للمعنى. مطبعة جامعة كولومبيا.

(٣) روبرتسون، رولاند. (١٩٩٢). العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة العالمية. منشورات سِيج.

لإحياء التراث ونشره عالمياً؛ فقد ظهرت مئات المنصات التي توثق اللغات النادرة، والقصص الشفوية، مما ساعد في حفظ الذاكرة الثقافية الإفريقية [١].

٤. دينامية التكيّف الثقافي: أظهرت المجتمعات الإفريقية قدرة لافتة على تكييف التقاليد مع الظروف الجديدة، عبر إعادة صياغة الطقوس والممارسات بطريقة تجعلها متوافقة مع متطلبات الحياة الحديثة دون التفريط في الأصالة الثقافية. وهذا ما يجعل الثقافة الإفريقية نموذجاً فريداً في المرونة والاستمرارية.[٢]

(١) كوماروف، جون، وكوماروف، جين. (٢٠٠٩). الإثنية المحدودة (Ethnicity، Inc.). مطبعة جامعة شيكاغو. وفافونوا، ب (١٩٧٤). تاريخ التعليم في إفريقيا. اليونسكو.

(٢) مزروعي، علي أ.، ومزروعي، علي م. (١٩٩٥) قوة بابل: اللغة والحوكمة في التجربة الإفريقية. مطبعة جامعة شيكاغو.

الخاتمة والنتائج

يتضح من خلال هذا البحث أن تاريخ العادات والتقاليد الإفريقية مرّ بتحولات كبيرة، بدءاً من الموروث الروحي والديني قبل الإسلام، مروراً بتأثير الإسلام على المجتمع والعادات، وانتهاءً بـ التحديات المعاصرة في ظل العولمة. وخلص البحث إلى أن الهوية الثقافية الإفريقية، رغم ما تعرضت له من ضغوط بفعل الاستعمار والعولمة والتحولات الاجتماعية، ظلت قادرة على الصمود والتجدد. وقد حافظت على أصالتها من خلال التفاعل الدينامي مع المكونات الوافدة دون الانقطاع عن الجذور.

أهم النتائج

- التراث الإفريقي أثبت مرونته وقدرته على الاستمرار، سواء عبر المقاومة الثقافية للاستعمار أو عبر إعادة التكيف في العصر الرقمي.
- الهوية الإفريقية المعاصرة هوية متوازنة تجمع بين الأصالة والانفتاح، مما يمنحها قدرة على التفاعل مع تحديات العصر دون فقدان بنيتها الروحية والتاريخية.
- الاستعمار الأوروبي حاول بصورة منهجية محو الهوية الإفريقية عبر التعليم واللغة وإعادة تشكيل البنى الاجتماعية، لكنه فشل في إلغاء التراث المحلي الراسخ.
- العولمة أحدثت تحولات عميقة في الممارسات اليومية، لكنها لم تُضعف الهوية الإفريقية بل ساهمت في ظهور أشكال ثقافية هجينة ومتجددة.
- التعليم كان عاملاً مركزياً في إعادة تشكيل الثقافة من خلال تعزيز التفكير النقدي، وحفظ التراث، وإعادة تقييم الممارسات التقليدية.
- الأصالة الثقافية: كانت المجتمعات الإفريقية قبل الإسلام تعتمد على أنظمة اجتماعية وروحية متكاملة، تشمل الطقوس، الرموز، الاحتفالات، والموروث الشفوي. هذا التراث شكل قاعدة قوية لهوية المجتمع.

- التفاعل مع الإسلام: لم يحذف الإسلام التراث الإفريقي القديم، بل أعاد تفسيره ودمجه ضمن منظومة قيمية دينية جديدة، مما ساعد على استمرار بعض الممارسات الرمزية والثقافية ضمن إطار إسلامي.

- التحولات الحديثة: أدت العولمة والتحديث إلى تغييرات في البنية الاجتماعية، التعليم، والفنون. ورغم الضغوط، حافظت الثقافة الإفريقية على مرونتها وقدرتها على التكيف، مع استمرار الاهتمام بالهوية والتمسك بالتراث.

- أهمية الحفاظ على التراث: يشكل التراث الثقافي والإسلامي الموروث قاعدة للحفاظ على الهوية الإفريقية في مواجهة التأثيرات الخارجية، ويتيح الفرصة لتطوير مجتمع معاصر متجذر في تاريخه وقيمه.

قائمة المراجع

أولاً: المصادر العربية

١. أبادوراي، أرجون. (١٩٩٦). الحداثة في نطاق واسع: الأبعاد الثقافية للعولمة. مطبعة جامعة مينيسوتا.

٢. ابن علي، حسن. (١٩٨٧). تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا. دار المعرفة.

٣. أحمد الحجازي. (٢٠٠٨). التفاعل الثقافي بين العرب والسواحيليين. جامعة الخرطوم.

٤. الحاج، علي. (٢٠١٢). الطبيعة والدين في الفكر الإفريقي التقليدي. قسم الدراسات الإفريقية، جامعة الخرطوم.

٥. الدوري، عبد العزيز. (٢٠٠٥). "ملامح الفكر الديني في إفريقيا القديمة". مجلة الدراسات الإفريقية، (٤)، ٤٥.

٦. الهاشمي، عبد الرحمن. (٢٠١٠). "الموروث الديني والروحي في إفريقيا جنوب الصحراء". مجلة التراث والهوية، ٧(٢)، ٦١.

٧. بن علي، حسن. (١٩٨٧). تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا. دار المعرفة.

٨. بول رايت. (١٩٩٧). الروحانية الإفريقية بين السحر والدين. دار نلسون.

٩. تليدي، عبد الله. (٢٠٠٩). "طرق الدعوة الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء". مجلة الفكر الإسلامي، (٢٣)، ٤١.

١٠. ترنر، هارولد. (١٩٩٠). الديانات الإفريقية الحية. مطبعة جامعة أكسفورد.

١١. خليل، يوسف. (١٩٩٧). انتشار الإسلام في السودان والنوبة. دار النيل.

١٢. شرف، سامي. (٢٠٠٣). إفريقيا بين التوحيد والوثنية. مركز الدراسات الإفريقية.

١٣. طه حسين. (١٩٧٤). حديث الأربعاء (الجزء الثاني). دار المعارف.

١٤. عبد القادر محمود. (٢٠٠٦). الإسلام والتقاليد الاجتماعية في إفريقيا الغربية. كلية الآداب، جامعة القاهرة.

١٥.عبد الله خليفة (مترجم). (١٩٩٩). الديانة الإفريقية التقليدية والفلسفة. دار الفكر.

١٦.عبد الرحمن صادق (مترجم). (٢٠٠٥). الفكر الديني الإفريقي (ترجمة عن جون مبيتي). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٧.محمد بشير. (٢٠١١). الإسلام والتحول الثقافي في إفريقيا. دار الفكر العربي.

١٨.محمد الفوتي. (٢٠١٤). "الرؤية الصوفية في الدعوة الإسلامية بإفريقيا". مجلة التصوف والدراسات الإفريقية، ٢(١)، ٢٢.

١٩.محمد ناصر. (٢٠١٠). "الأديان في إفريقيا قبل الإسلام". مجلة الدراسات الإفريقية، (١٤)، ١١٩.

٢٠.مزروعي، علي أ. (١٩٨٦). الأفارقة: التراث المثلث. منشورات الـ BBC.

٢١.مزروعي، علي أ.، ومزروعي، علي م. (١٩٩٥). قوة بابل: اللغة والحوكمة في التجربة الإفريقية. مطبعة جامعة شيكاغو.

ثانياً: المصادر الأجنبية

22. Davidson, Basil. (1964). The African Past. Longman.

23. Davidson, Basil. (1969). The African Genius. Longman.

24. Fafunwa, B. (1974). History of Education in Africa. UNESCO.

25. Hannerz, U. (1992). Cultural Complexity: Studies in the Social Organization of Meaning. Columbia University Press.

26. Hunwick, John. (1985). Religion and Cultural Change in West Africa. Cambridge University Press.

27. Mbiti, John S. (1969). African Religions and Phi-

losophy. Heinemann.

28. Mbiti, John. (1970). Concepts of God in Africa. Praeger.

29. Ngũgĩ wa Thiong'o. (1986). Decolonising the Mind: The Politics of Language in African Literature. James Currey.

30. Robertson, Roland. (1992). Globalization: Social Theory and Global Culture. Sage.

31. Rodney, Walter. (1972). How Europe Underdeveloped Africa. Bogle-L'Ouverture.

32. Young, Crawford. (1994). The African Colonial State in Comparative Perspective. Yale University Press.

33. Hastings, Adrian. (1994). The Church in Africa: 1450–1950. Oxford University Press.

34. Comaroff, John, & Comaroff, Jean. (2009). Ethnicity, Inc. University of Chicago Press.